فاذا اكتفى البعض بالاشـارية، كجزء من الاسقاط اللاشعوري في تداعيات الشخصية، أو ذاكرة المؤلف، أو ضمن اطارات الوصف المشهدي، أو عبر الحوارات المقتضبة، فان القضية الفلسطينية، لدى البعض الآخر من كتّاب القصة البحرانية، هي أكثر من جرح وهمّ عربي غائر في الضمير. لقد برزت القضية الفلسطينية في خلق وبناء الشخصيات، هاجساً، وحالة، وموقفاً نقدياً للموقف العربي العام، بسبب الاحباط والشعور بالتراجع، جرّاء الهزيمة تلو الهزيمة.

لقد حاول بعض الكتاب ان يسجّلوا ادانتهم لذواتهم اولاً، وللذات العربية المستكفية بمراقبة هذه القضية باستكانة وسلبية، ثانياً. فالقاص امين صالح، رسم لنا، في روايته «اغنية أ. ص. الاولى»، مشهد المقهى، وهو المكان المفضّل لديه، لبناء نسيج حواري، ووصفي، فكتب: «ثمّة مقاعد شاغرة تتراهن في حلبة الشطرنج، وصبي المقهى يرهن ما ادّخره في سنواته العشرين، ولكن لا احد يربح؛ اذ سرعان ما يتشاجر اللاعبان وتنقلب المقاعد؛ صبي المقهى يفرش الاباريق والاكواب ويعيد المقاعد الى مكانها؛ رجل وحده، لاصقاً وجهه بالحائط لساعات طويلة؛ مجموعة من الطلبة الجامعيين يناقشون، بعصبيـة وانفعـال، لمدة خمس دقـائق، الثـورة الجنسية، انحسار نشاط التوباماروس، الاوضاع الاقتصادية في الهند، جولات فالدهايم السياحية، اسعار تذاكر السفر المرتفعة، واقع القضية والثورة الفلسطينية»[٢٤]. الامر الهام، هنا، هو الشريحة الاجتماعية، وطبيعتها في التعاطي مع القضية؛ فكأننا نستمع الى نشرة أخبار صباحية سريعة الايجاز وموحية بما فيه الكفاية للايغال في ما وراء النص. فأمـين صالح لا يقوم بتحليل شخصياته ولا أفكارهم، وانما يكثّف لنا الحالة والمناخ العام، موحياً وخالقاً الانفعال والحركة والتأمّل للقارىء، لمعايشة المقهى من داخله. وفي الصفحة ٦٥ من الرواية ذاتها حدّثنا أ.ص. بالرموز الاشارية التي نستدل عليها كدلالات مرتبطة بمفاهيم عامة تمّ التعارف عليها، بل وأصبحت، أحياناً، مفردات خاصة للدلالة على حياة الفلسطيني والثورة. كتب: «عروقي نافرة اقحمها في الملاجىء والمخابىء، في الاحياء والمخيمات، شاهراً أوردتي المضخّمة بالحلم بايقاعات الثورة». كذلك، كشف صالح، بلغته السريالية والشاعرية، عن عالم مؤلم، نستشفّ من مفاتيحه انه عالم فلسـطيني اعتدنا على ادراك جوهر مفرداته اللغوية. ففي نصّه «الخسوف»، الوارد في كتاب «نـدماء المرفأ ندماء الريح»، كتب: «قرأنا كتاب الاحتلال وأيام المجاعة والجواسيس. قالوا: كفى، وبكوا. ساروا جماعات في رواق الغبار حتى طمرهم الماء» (ص ٢٢). امّا في «مرضعات المأساة»، فقد ابتدع صالح نصّاً بلغة شعرية، أشبه بوثيقة ادانة منها كنص قصصي. فهو نحى منحى كتابة مشاعره وانفعالاته ازاء الوضع العربي المحزن، الذي يحاصر «المأساة»: «من لنا في هذا العراء الابكم غير طعم بكائكم يا رضّع المنافي. بين أسناننا الشائخة، نحن اللائي نطلق النشيد بعد النشيد، نحترف الانتظار والغياب من حافة الكهف؛ الكهف الأبعد غوراً والاكثر ظلمة؛ رمينا باقات المأساة من ارخبيل الافواه، أفواهنا الملأى غباراً، سكبنا حكايات الانين عن النزوح المقدّس لحشود يضيء دربها الليل؛ عن المدّ البازغ من حلمة صبية تسوق الحجارة جنوباً؛ عن المعارك النبيلة ودناءة الولاة؛ عن مقبض اللهب، فحولة اللغة، صولجان التعب» (ص ٤٩).

ومع هذه اللغة ذات المخيلة اليقظة، والاسترسال المطرد، بين حبكة جاءت عفوية وأخرى مفتعلة مصنوعة بحرفية قاموسية أكثر منها انفعالاً وتدفّقاً تلقائياً وداخلياً، يرمي هذا النص بظلاله المترامية على جغرافية المقاتل اللبناني والفلسطيني في الجنوب أو في مناطق شتات المأساة، فيعود أمين صالح يحفرها في ارادة الطبيعة القاسية التي تميّزت بعشق خاص: «حتى شجرة الزيتون التي كنت تسندين ظهـرك اليهـا، اثنـاء ساعـات انتظارك، يئست ونكست اصابعها جزعاً» (ص ٦٥). هذا الانتظار